

هواجس
في طقس الوطن

هواجس في طقس الوطن

عبدالله الصيخان

المحتويات

٧	كيف صعد ابن الصحراء إلى الشمس؟
١٥	فضة تتعلم الرسم
٢٣	هذيان
٢٩	ومات بشير عريسًا
٣١	قصائد البهو
٣٥	تلويحة لمليحة.. أخرى للمطر
٤١	الحجر
٤٥	انحدارات العاشق
٤٩	كان اسمه خالد
٥٣	فاطمة
٥٩	وطن، حبل وامرأة
٦٥	هواجس في طقس الوطن
٧١	أسطورة

كيف سعد ابن الصحراء إلى الشمس؟

إصعد يا حبة قلبي، اصعد
إصعد كي تنفض عن عينيك غبارهما فترى..
وتماسك إن كنت ضعيفاً، ساقك تسند ساقك،
وذراعاك
تمدّانك بالعزم، ووجهك ينضح بالماء إذا ما أصبح
بين الماء
وبينك قافلة من نوق.
وتماسك حين ترى..
سترى ما لا عين نظرت، ما لا أذن سمعت
ما لم يُوصف في الكتب المنسوخة عن عاشرٍ جدّ..
سترى ناساً يقتتلون على ماء..
وأناساً يقتتلون على طرقٍ تفضي بالناس إلى كرسيّ
وزبرجد

سترى خيلاً ليس لها أعناقٌ، وسيوفاً ليس لها
أغماذٌ، ودماً

ينثال ليشرّب منه المرضى والمقهورون وأصحاب
الفاقة

والموهوبون.

عطايا الربّ..

كل الناس عطاش

فاصعدُ يا حبة قلبي، اصعدُ

وتوسّد صوتي حين أناديك لتصعدُ

اخترتُك أنتُ

لست الظاهرَ بينهمو ولستَ السافر

إصعد كي تفتح عينيك على الصالح والطالح
والفالح

والكالح والفارح

والتارح والجارح والمجروح

كلُّ الأرض جروحُ

أنظر..

هذا بلدٌ يتقاسمه الباعة، تجارُ الليل، وهذا بلدٌ

يتحلّق فوق يديه الصّاغَةُ، هذا وطنٌ يتقاسمه
البرصُ علانيةً فاصعدُ

هذي الشمسُ تُناديك وقد حُبّت حمراءَ شواظٍ
فتوطأ معها..

مُدّ يدك لها أغمض عينيك وقلُ

يا أيتها الشمسُ خذيني، ابن الصحراء أنا، آتٍ
منها

بي جدبُ

وعليّ قماشٌ من سندس أخضرُ بارق

همستُ في أذني الصحرا وأنا في المهد بأنّ
الشمسَ ستمنحني

يوماً نافذة كي أصعد، أنفض عن عينيّ غبارهما

فأرى الطاووسَ يتيه على الإنسان ويختال

وأرى الكابوسَ يُكمّم أفواه الناس على حلْمٍ منهم،

وأرى الماشين على أوجههم في السوق مناديلُ
كآبة..

وأرى في الحبس مظالم وأرى ظلامهمو، وأرى
خيّطاً

لا أسود، لا أبيض فأصوم.

المأء عطاش

هذا اليوم طويل

والأرض سعي

والناس، الناس انحدروا في دار مظلمة لا أبواب
لها صماء،

والناس، الناس انكسروا في الصدق.

رمادياً كان الحرف، اللغة، الميزان، الإنسان،
الطائر والتاجر والصاغة والنسوة إذ يتوالذن وما
ينجبن رمادي الوجه، الساحل والقاحل من يفتي
في أودية متشاجرة، من يمشي، من يتبختر،
والموت رمادي فاصعد

أصعد يا حبة قلبي، إصعد

أنت المدعو: سليل الصحراء، المتوارث مجد
الضرب علانية في غاربها

بدو في بدنك يبتردون عطاشي، ورعاة الأرض
على ظهرك يرعون. ملح في كفيك، تطوف وتنظر
في الأرض على غيم مقتعداً بين الموتى

أنت الباطن والصاعد في الأبيض،

والنازل في الرمل، المرتحل على زلزلة في القلب،

المتدثر بالرغبات الأولى: أن تعرف

وترى وتشك

هذا الشك يقين

حلم أم علم أم هذيان مريض؟

الأرض تدور

هذا الفلك القائم يوغل في الظلماء ولكنني أنسج
في بدني امرأة تتحول في الصباح إلى كوكب عشب.

أخضر رطب

فأرى

وأشك

ثم أحط يدي على وجهي

يغشاني النور

فأسأل: أين أنا؟

أتكاشف والشمس

فأرى خيلاً تتظاهر في ناصية الشمس، تمد قوائمها

والقهرُ يُوجِّج في دمها حمحمة الأيام الأولى
أضحت في المضمار مراهنةً ونقود.

أتكاشف والشمس

لم يبق سوى مرمى حجرٍ وأصل

أبراجُ وسفائن

لهبٌ منحدرٌ مثل الماء، دخانٌ أبيضٌ مثل الثلج -
الغيم، أطفالٌ قتلوا في آخر حربٍ، فتياتٌ بثياب
الدرس يُحْمَنَ وَيَسَاقَطْنَ على زبدٍ من غدِر.

إصعد يا حبة قلبي، اصعد

ستلاقي رهطًا يسترقون السمع على درجات الكون،
فحادثهم..

اسمع ما يعطيك مفاتيح الأشياء وما يَمْنَحُ ساقك
في الريح مدى ويديك نهار.

هذي آخرُ عتبات الكون الكامل

أنت الآن على لهبٍ منها فادخل

وتيمم بالنار وصل

تأمل ما حولك

زاوج بين الرمل وبينك، بين النار وبينك، بين
الماء وبينك وادخل في جدل الأشياء

أنت الآن ترى

أنت الآن

ترى.

فضة تتعلم الرسم

استحضار

وحدي هنا
غادرتني المليحةُ
أشْرَعَ هذا الممرُّ لها بابهُ..
فخطتُ خطوتين
نوَّثُ أن تعود..
هي الآن تخرج من ساعدي.



فضة الآن ترسم قابلةً ونساءً وأنفًا وأذناً وعينُ
ثم ترسم مدرسةً وأسرّةً نومٍ وترسم خطينِ
وعصفورةً بين خطٍ وعينٍ.



- أتراني؟

- أجل

منذ أن سافرت للكوى المغلقة

نكهة مشرقه

اضحكي.. اضحكي

بيننا الكأس والتبغ والأروقه.



فضة الآن ترسم جمجمةً وحقولاً

وتسألني عن أبي

- كان نهرًا من الضوء والأسئلة

كان يعشق طين الجزيرة حتى البكاء

ويروي عن الموجة المقبلة

فضة الآن ترسم أسرارها في ذراعي

وتقضم تفاحةً للضحك

آه ما أملحك!

آه ما أملحك!

تستحيل حصانًا حوافره في دمي ثم تمضي إلى

الضحك الموسمي وتحمل كأسًا من النار حتى

فمي..

- أتراني؟

- أجل

جهةً مورقه

وخيولاً على الصمت مستغرقة

فضة الآن ترسم بحرًا وأشرعةً وفضاءً صغير

وتحتال حين أفايضها:

وأعطيك حقل سهيلٍ وسلّة طين..

اشتري بحرك الغجري..

وأطلق عصفورتي في الفضاء الصغير..



فضة الآن ترسم طفلاً وتسأله عن مواجع كفيه..

تبعته للدروس.

يحمل الطفل دفتره المدرسي ويلبس كوفيةً وعقال

قصب

- أتراني؟

- أجل

شفة من لهب

يا غناء التعب

يركض الطفل في تعبي فيطيح التعب

- إيه يا فضة العربية..

حدثيني فإن الصباحات مرتبك وجهها

حدثيني فكم بللتني الغيوم وصادرني شارع؛ شالني
واستبد بطفل، بدفتره المدرسي ويلبس كوفية وعقال
قصب.

فضة الآن جالسة بين صمتي وبينني

تفزّ المليحة..

تخلع خلخالها وتواريه عن عينها

ثم ترسم طفلاً بلا أحذية

- هنا محكمه!

تستحيل بحجرتها قاعة للقضاء، وأخرى بها
المائلون إليه بتهمة قلب الأمور، وأخرى بها
الصامتون، وأخرى بها الناطقون بغير حديث، وفي
آخر الحجرات الشهود.

- الشهود.. الشهود

ندت عن صبي يبيع الأحاديث والصحف العربية
إيماءة للحضور وجلجل في آخر الصف صوت

نساء ولغط، وكرت بإحدى الصفوف حبيبات
مبسحة..

تنحش شيخ، توضع بالأرقية

- هنا محكمه!

رفعت جلسة اليوم..

فاخلعوا الأردية

- أتراني؟

- أجل

أو أرى نكهة في السرير

والفضاء صغير.. صغير

لا يتسع.



فضة الآن ترسم كأساً وترفعها: صحتين

- هل ترى هذه الكأس أو هذه الفرس الجامحه؟

كنت أعدو بها - أين كنت - في حقول الهوى ليلة
البارحة.

وقفت

سألني المليحة عن شالها

جلستُ

عقصتُ شعرها

طلبتُ كوبَ شايٍ وتبغٍ

وضعت وجهها في ذراعي، بكت..

واستدارت إليّ

قَبَلتُ في الهجير فرسٌ مُهرها

سألني عن الشكِّ، كيف يجيءُ

- إذا حاصرتك المخافاتُ يا امرأة الخوف،

وسوسَ في صدرك الطفلُ واعتمرتُ وجهك

المستبدَّ عباءته الباهته.

- أتراني

- أجل

لغةً صامته

شالها ضائعٌ

ضيّعه متى؟

طلبتُ كأس ماءٍ وسيجارةٍ واحتمتُ بالبكاء

- أتراني؟

- أجل

جمعتنا المواجهُ يا فضة العربية..

وانتعلت فمنا لغة القاعدين، وهذبنا الشمعُ

وارتحلت

في الدم العربيّ الخياناتُ، ضاعتِ القافلة.

رسمتُ قطةً ذات عيين واسعتين وصحنَ حليب

وخيطةً تمارس قتل الفراغ به

صرخت:

- أتراني؟

- أنا لا أرى!!

استحلتُ أنا وردةً في مدائن هذي البلاد، وحوّلت

عينيّ أحصنةً للسباق وخبزاً له نكهة الفقراء،

وساومت كل الذين يبيعون لون القصائد أن

أشترها..

تحوّلت تسيحةً للبلاد وتعويدةً للسفر.

إيه يا فضة العربية، كيف أرى؟

فضة الآن ترسم باباً وتحكم إغلاق مزلاج

الخشبيّ..

ثم ترسم بيتاً وتمحوه

بيتاً وتمحوه

بيتاً وتمحوه

ضائعةٌ في الصباح ملامح منزلنا العربيّ..

وضائعةٌ في المساء إذا جعلته النساء خمارةً عن
الضوء، كيف أرى؟



فضّة الآن تطلبني واقفاً للفناء

- سأفتح نافذةً البكاء البساتين، نافذةً لارتحالات
وجه البلاد معي.

لا تطلبي صَوْتِي الآن

حنجرتي صادرتها المسافاتُ

كوني معي الآن يا فضّة العربية..

لنبكي على ما جرى.

تبوك ١٩٨٠

هذيان

أتوبُ إلى عاشقٍ

ويمينٍ محلّفةٍ

نخلةٍ إذ يهجعُ الليلُ

تدني لذائذها لفقيرٍ

رغيفٌ من الحزن كانت يدي حين جاء على نعسة
النوم،

حطّ على جفني المتورم، قلتُ: أحدثكم..

حين تمسون عن زائرٍ في المنام، له سحنةُ الشيخ،
قد كنتُ أعرفه، ذات يوم التقينا على حطب من
مساءلةٍ بين...

قلتُ: أعرفه مُدّ تدلّي الكلام الجميلُ وصارَ لشكل
فراغ الأواني ظلالاً تورّقهم أو تورّخهم سلموا حين
تكتظّ هذي الشوارع بالأوجه البرص معذرةً.

كنت أحدثكم

وقلت سأشرق يا وجهَ زائرِ النَّومِ
 علّمني أن أغنيك يا حجراً في الجنوبِ ينام
 وينعسُ، تحتشد الصبحُ نعناعاً في نتوءاته
 تحدّثه من حديث الندى جملتين
 وتسأله أن يكون وسيماً..
 ومعدرةً.

كنت أحدثكم

والحديث مهامسة بين قلبين يغدو مظهرةً

كنت أعرفه

شاحباً

مثل مواسم أحفادنا حين يمشون حافين في معتقِ
 الدربِ.

هذي الدفاترُ تملأهم بالفراغ

ويملاها وجههم بالفراغ

هو الوقتُ حين أفضي لكم بالمواقع..

معدرةً.

كنت أحدثكم ونسيت بأني أحدثكم عن رؤى في
 المنام، عن امرأةٍ حملت وطناً في يديها..
 كلّمني - وقتها - بلبلُ الوقت عن وطنٍ وغزاةٍ،
 وصدّ وكرّ وفرّ،
 مهاجمةٍ بين جيشين، معركةٍ من غبار.

قفوا نترجّل

أو قفوا نتهيأ للموت

شاهدة القبر ما بيننا يا غبارُ ويا فرسُ، يا سيوفُ

يا ساحُ، يا دمُ، يا خيانات

خاصرة الحرب يشملها ثوبها

كان متسخاً مثل حديث الذي يتدثر بالخوص كي لا
 يرى الناسُ

سوأته

معدرةً

كنت أحدثكم

للحديث تفاصيله ودقائقه

فاسمعوني

فقد جئت أسألكم عن رمالٍ وبحرٍ وغيمٍ وسلسلةٍ
من زبرجد.

وأسألكم عن مفاتيح ترسمها العربية ضاعت
وعن جزرٍ لا ترى العين شاطئها، عن بلدٍ ليس
يعطي مفاتيحه للغريب.

وكنت أحدثكم

فمعدرةً

قد رأيت أنا ثلَّةً من رؤى لا تجيء إليكم..

وكنت سأتركها للزمانِ

وعذّبي السرُّ، ذكّرني..

بيننا بعض ملحٍ وخبزٍ ورائحةٌ من دم،

كيف أترككم لزمانٍ خؤونٍ وريحٍ معاكسةٍ وقواربٍ
مثقوبه

توقدون الفوانيس للبحر كي يتبرّج

تبحث أرجلكم عن لآلٍ أو حكايات - لا بأس -

تسكنها سحنة الشيخ

جاءني

نعسة النوم جاءت

مصادفةً أو بلا موعدٍ

كنت أعرفه: ناحلاً يلبس الثوب قامته، يتحرى
التفاصيل..

جاء ودقّ فؤادي

فناديت: من يتوضأ قرب وريدي

حقلٌ قمح نما

تناميتُ طيناً وصلّيتُ

وفاجأني الدهرُ

قلتُ أحدثكم

للحديث انقطاعٌ عن الناس

إني صحوّتُ عن الهرج والمرج

متكئٌ فوق سورٍ

من الشكّ

والهذيان.

ومات بشير عريسا

قم من النوم..
فالقناديل ناظرة..
والدفاتر..
والكتب المدرسيه
والعيون التي حملتك..
تناسلَ فيها الطريق
قم من النوم..
إنك الآن سيّد هذا الزمن.

قم من النوم يا صاحبي
كيف يُنعى الجواد ولم يكمل الشوط بعد
قم من النوم
امرأة تشتهيك..
تُرْفُ إليك

إرْتَدِ الآن «مشلحك»..

تنسف هذا العقل

أو..

بهذا الكفن.

قصائد البهو

قدمُ تصعد الدرجُ

بخطي ما لها صدى

يُفتحُ البابُ، لا أحد

قدمُ تصعد الدرجُ.

ولمن ترتخي جدي

لئها، تسقطُ الظلالُ

نفضت أختها سني

ملكٌ يسجر السحاب.

كلما ذدعتُ هبوبُ

قلتُ في ريحها مطرُ

فتسامقت نخلة

فذوى العذقُ وانكسرُ.

قم من النوم

احملِ الآن شاهدة القبرِ

تصبحُ للعرسِ شاهدةً

أمك الآن واقفة فوق سيف الترقُّبِ.

الرفاق أتوا..

يحملون المباخرُ

تناسلت فيهم، فهذا أوان التمازجِ

قم من النوم، إني أجيء إليك

لأنفض عنك الترابَ..

وهذا الوسن.

١٩٧٦

اجلسي بيننا غياب
وسواليفُ مهمله
مطري قبله ضباب
فالمسي الآن أوله .

خرجوا كلهم وجاء
وأنا يُتَمُّ أغنيه
صفق الباب خلفه
فتوحدتُ ثانيه .

ولدٌ يحسب الهوى
مثلما شاء واشتهى
ما درى أنه الضعيف
أمراً كان أو نهى .

مدنٌ، كيف من زجاج؟
ومرايا من الحجر
ومناقير لا تباع
وعصافير تُشترى

لا تَمَرِّي فيننا
سبعُ دورٍ مهدمه
ينهضُ البوم فوقها
لحن نايٍ محظمه .

هبط الليلُ بيننا
وذراعان في وساد
فضح الصبح سرنا
فتخفى بنا جواد .

ما الذي يجعل الذي
بين كفي وكفها
حوض نعناع لا يشي
بتفاصيل وجفها؟

ولدٌ خلف بندقي
يتته المحظمه
ولدٌ نصفه دم
وعلى النصف أوسمه .

وطني صار نخلتين
سقط السيف منهما
صار زيتها يضيء
ولو لم تمسه نار.

ليت لي خيمةً وظلُّ
ومراع مسورة
وقطيعةً من الذئاب
يحرس السور آخره.

قدم تصعد الدرج
بخطى ما لها صدى
يُفتح الباب، لا أحد
قدم تصعد الدرج.

١٩٨٦

تلويحة للمليحة.. أخرى للمطر

هلا

يا ربيع القلب
كنتُ أقولها، وأحطُّ لؤلؤة الفؤادِ على خطاك
إن طرقتِ البابَ فزَّ القلب وانحدرت
على جدران بيتي
ألف دالية جميلة
أنت يا ملح البنات، وأنت سكرة تذب ولا
تذب على لساني.

مرني الغيم وحياني ومرّ
شالني من جذب هذي الأرض..
أحياني مطر.
كان هذا موعد العاشرة، الآن..
صباح ومطر

ركضت فيه (الرياض)، انكسرت فوق كتفي

فتذكرتك يا ملح البنات

وتنهَّدتك..

إذا يحتفلُ المطعمُ، ها وقعَ خطاكِ، كمَّ جميلٌ أن
نفكَّ العقدة الغامقة اللّونِ على الموعدِ بالقهوة..

- هل أقرأ حَظَّك؟

- سفري أنتِ إذ الناس نيام

اجلسي في خوفي الآن ولا ترتبكي

قادمٌ من لجج الرمل وأنحاء شمال...

استريحي الآن..

لن تصحو «ماما» للصلاة.

هل جرحنا القلب؟

قايضتُك جرحين بجرح..

قلتُ: خلّي سعف النخلة يمضي في دمي، لا
تبكي.

أسندتك حلمي ورميتُ على الموعد منديلي،
وخبأتُ تفاصيلك في ذاكرتي.

اخرجي

من جهرة الوقتِ، تعالي..

كيف لو تأتين يا ملح البنات؟

- لماذا صامتُ هذا الخميسُ

وأنت كتبت شيئاً أمس،

نمت على ذراعي، إذ حلمت بأن بعض الكون
شيءٌ غامضٌ لطفولة تأتي وهمست مرتاعاً: سيأتي
بعدنا زمنٌ ثقلَ به النساءُ، حتى لا يصير هناك رحمٌ
فالتناسل صار ظاهرة ثقلٌ وليس هناك حلٌ.

سوف يحلّ فينا القارض المنسيّ والجدرى والصرعُ
السريع..

دودة الأرض تنغشنا وتنمو فوق جلدتنا شجيرات

من الشوك المذهب،

يبقى في النساء خلية

وهناك خلٌ.

ولقفتُ كفك أنتشي من نكهة اللاشيء، لا عطرٌ

وضعت اليوم، أعرف عطرك البري هذا،

كنت أسندت أنا حلمي عليه،

كيف لو..
يسرقنا الوقت ونُبطي.. استعدي الآن كي نذهب،
لا بأس،
غداً سوف نحتاج إلى أن نتلو شيئاً من كتاب
الحبّ.
- لو تأتين.
أشعلت سفيني ورميتُ الذاكرة الأولى إلى البحر،
نسيت..
أني هاجرتُ منك موجةً للبحر مراتٍ وعدتُ
كيف لو تأتين يا مَلَحَ البنات؟
طلع الفجر فألفيتُ صباحَ الخير في بابي..
هل أنتِ؟؟
فتحت الباب، ألفتك عندي
وتذكّرتُ بأني قد نسيت الموعدَ في شرشف نومي،
لم أفق..
- هل تأخرتُ عليك
- لا يهم..
جئتكَ الساعةَ كي نكتب شيئاً في الهواء
يستحمّ القلب عند القلب.

تنسين بأني قد أطلت السهرة في ليلة أمس
وأكون المذنبَ والعاشقَ في حضرتك..
تغفرين الآن
تحتلين وجهي..
كان هذا موعد السابعة الآن صباحٌ ومطر
كلما ضاجعها الأرضَ مطر..
تتعرّى
كيف لو تأتين كي نستريح الأرض، نحتلّ مكاناً
فيه طين الأرض أغدو..
وتصيرين
الشجر.
وتغنين الشجر
مطر.. لا مطر
مطرٌ وجهها ويدها تراب
وهذا الذي يتنامى على مرفقيها له ثمرٌ كالغياب
مطرٌ وجهها..
صدرها غيمتان من الصحو أو حلم طفلين أو وطنٌ
داخلٌ في احتمالاته:

مطرٌ..

لا مطرٌ

استفاقت «مليحة» حين الصباحُ أتى، وارتدت ثوبها
المنزلي

وغنّت للغناء:

مطرٌ..

لا مطر

أشرعت وجهها للسماء

مطرٌ..

لا مطر

وتعرّت كما تفعل الطيرٌ..

منحتها السماء نوافذها..

أمطرت

أمطرت

فتدلّت مليحةً فوق الشجر.

١٩٨٣

الحجر

هو الحَجَرُ الفلسطينيُّ

سيّدُ وقتنا هذا..

وأجملُ ما يزفّ به الحبيب إلى الحبيبة

يبارك أرضها ربّ السماوات الجميلة..

ما خانت ولا لانت

ولا أعطت مفاتها لقبعة الصديد

أحبّك يا زمان الرفض

أحبّك

أولُ الإسراءِ أنت وآخرُ الإسراءِ: إسراءُ

الحجارة للحجارة والبيوت قلادة من رفض.

هو الحجر الفلسطينيّ

سيّدُ من يجيء، ومن يروح، ومن سيصرخ بين

مبنى الأمن والفيتو

أحبك يا زمان الوصل
بين دمائهم والأرض.

تحدّث مرةً حجرٌ فلسطيني يسأل جاره العربيّ:
هل مرّت بسمعك قصّة الحجر الفلسطينيّ؟

أغنية الشموس إلى الشموس

من شاف الأغاني؟

ومن طارت بداخله الحمامة؟

كانت مُدوّراً كالشمس صوتٌ خديجة العربي

- أهدي سلامي إلى أمي في الضفّة!

شرّش في دم القلب الصغير ندى لصبّار الخليل،
وضجّت في رمال البال حيفا ثم يافا ثم...

- هل تكفي الحجارة يا زمان الوصل

بين دمائهم والأرض؟

ويمسحنا زمانك أيها «الفتوة»

يحوّلنا إلى حجر بليدٍ ليس يشبه ذلك الحجر
الشهيد

هو الحجر الفلسطينيّ: زاد الكفّ، رقم حسابها
السريّ، تاريخٌ نحو أبواب البلاد ودقّ
أقواها وصاح به أنا الحجر الفلسطينيّ.

أحبك يا حديث الأرض

أول الإسرائ أنت وآخر الإسرائ: إسرائ

الحجارة للحجارة، والبيوت قلادة

من رفض.

يوم الأرض - ١٩٨١

انحدارات العاشق

أنا عاشقٌ للمدينةِ لكنّما النارُ في بدني
كيف لو..
أطفأْتُها سواحلُ سيّدي
وسمّيتها امرأةً من شجر
تكأتُ صدرهً فوق كتفٍ من الطين
سمّيتها وجعي..
وانحدرتُ
لكم يشبه التلُّ وجهي..
لكم يشبه الشيء أضداده
ذا زمان به
عاشقٌ للمدينة..
والنارُ في بدني.

كيف تصبح هذي الدكاكين عاشقةً، تنفسح في

الروح كيف تشاء

قلتُ: عاشقة؟!!

وسميتها امرأة من شجر

كتبت على جذعها سطوتي وانحدرتُ

ظماً كان وجهي

يداها هما الماء

والسفرجل في أوجه..

والغناء.

أنا عاشقٌ

نصفٌ مرتهنٌ

ونصفٌ طليقٌ يفتش عن قيده

قلتُ مرتهنٌ

ها ثيابٌ من الأسر ألبسها..

أنا صرتُ مثل الأصابع والنار

أرفعها تنظفي النار

أتركها..

يترافع في بدني ولدُ اسمه الشكُّ، يوسفٌ في

الجبِّ، سلوته نصف إغماءة ونشيج

أنا عاشقٌ

والمدينة مزرعة للضحيج.

كيف نكتب هذا؟

يوسفٌ في الجبِّ

وأنا نصفٌ مرتهنٌ

والمدينة متزرةٌ من خطايا ودم

سميتها امرأةً..

وسكتُ ..

ستكوي جراحي ملوحها

أتداوى بها مثلما يفعل العاشقون من البدو،

سميتها

ندمي وأنا عاشقٌ، لم يكن في الزمان سواي وما

جاء في أثرِ العاشقين مناصفةً بين شكِّ وبين.

أنا نقطة الحرف في بائه..

واليقين.

كان اسمه خالد

كفُّ تمتدُّ تضاجعُ أرضَ الشارعِ
هذا الشارعِ ممتدُّ من نسغي حتى أرجل خالد
والكفُّ الأخرى ضمّت صحفَ اليومِ
والوجهُ الناحلُ عانقَ بقعةَ دمٍ
منكفئًا كان..

حدّثني عنه الشارعُ، قال:
كان يعانقني كلَّ صباحٍ
نظيفًا يحمل صحفَ اليومِ
كان يجيء..
معجونًا بالطّين وبالْحزنِ البرّيّ..
وبالألوانِ.

حدّثني عنه النخلُ الطالعُ في بهو الدارِ، فقال:

في القيلولة كان يُطلّ
يتفياً ظليّ..

يحلمُ بالدراجات وبالحلوى
بثياب العيد القادم
وأغاني الأطفال الفقراء.

حدّثني آخرُ إنسانٍ شاهده اليوم، فقال:

كلّ صباح

أبتاع الصحفَ اليوميةَ منه

إلاّ اليومَ

إبتعتُ دوالي الحزنِ المنداحةَ في عينيه..

أغنيةً لم أسمعها منه

مرّ بقربي مثل حفيف الثّوب

ثم..

وكان هناك

منكفئاً كانُ

خالد

يا بادرة القمح

تتقاطرُ فيك عصافير الأرض

ملفوفٌ بثيابِ العيد البيضاء

يسألك العصفورُ الدوريُّ الأبيضُ

هل كنت مليحاً مثل الصُّبْحِ

شهياً مثل التين

فقيراً..

إلاّ من ضحكك الخَضراءُ؟

هل كنت تغني حين رماك الموت؟

يا وطني

يا وطن الأطفال المجدولين بطين الأرض

يا وطني.. الأطفالُ أصابعك العشرون..

هل يحلو العرْفُ

بلا أطفال؟

فاطمة

كأنّ النساء

خرجن من الماء

وفاطمة وحدها خرجت من برد

كأنّ ذوائبها الشهب إن لم تعد

إلى بيتنا، لن يعود أحد

أو

كان مساء الثلاثاء مرّ

ولم يتفرّس في راحتيه نهار الأحد

يقول له إن ما بيننا

يوم اثنين مسترسل في بياض نهْد

ذوي فيه نعناع ظلّ

وأغمض جفنيه حتى الأبد.

قيل إن الذين أتوا بعد يومين من دفنها

وجدوا في المكان
قمرًا نابئًا خلف حنائها
قمرًا من حنان
ويدًا نصف مسترخيه
سحب الله من خضبها خيط دم
فنما

شجرٌ

أخضرٌ

اسمُهُ

فاطمه.

تمتات المعزّين في آخر البيت أهدأ من كل شيء
ومن أيّ شيء تذكّره ولدٌ شاف ضحكاتها - نفس
ضحكتها -

في

صباح مطير

ولدٌ ويقيم

قام من نومه باكراً

وأعدّ - وحيدًا - فطورَ الأحد
ثم أخرج من كتبه صورة رطبة لامرأة
تقرّسَ فيها قليلاً

بكي

ثم قرّر أن يتنازل عن درسه اليوم؛ يبحث في
وحشة البيت عن ضحكة هربت خلسة من كتاب
الصُور

ولدٌ ويقيم

أمه فاطمه

وتحبّ المطر

ولدٌ آخرٌ

اسمُهُ خالدٌ

قال ليوم الثلاثاء وهو يلمّ حكاياه قبل السفر

لن أكون يتيماً هنا

ورافقها في السفر

نهاراً..

بصيف خفيض

شجرٌ أبيضٌ يعصبُ الرأس متكىً فوق منحدرٍ

ضيّق..

«شيلة»^(١).

ودّعت وجه سيّدة العائله

حديّد يفارق أشكاله

خيّط دم نرّ من عربّه

حديّد هوى من علّ

ثم فارق أشكاله..

وتجمّع خيّط دمّ سال من لعبة قاتله.

هل كان أحمد ينوي الذهاب بعيداً عن الحلم -

تاركاً سرّه العاطفيّ معي

نحو حضن فلاه

وهل كان أحمد إلا ندىّ يتساقط في وردنا

ويحبّ الحياه

تُرى..

أيّ شيءٍ قرأ

(١) الشيلة: غطاء الوجه.

وأَي فتاةٍ

نهضت من ملامحه ذاهلة.

المعزّون لم يرحلوا

فدخلت..

وحين جلست إلى المائدة

كانت هناك

توزّع نبض يديها على كل صحن

وحين أكلت

لم أجد طعمها في الإناء

فتركت المكان

فالتفت حولي سربُ قطا جاء من شجر العائله.

أي شيءٍ لعاشقها تركت فاطمه

شرشفاً نسيته على نومه

أم شذيّ حائلي

هي يا ناسُ

أملحنا

يدلّلها الأهل، يعطون أسماءها للحمام

لم أكن ابنها وحدها
ولكنني ابن كل النساء اللواتي يشبهنها
وهي أمي القريبة من بينهم.

قيل إن الذين أتوا بعد يومين من دفنها في المكان
رأوا مشطها الخشبي
مكسورًا، أساورها ضائعة
وأن الشهادة كانت هناك
على شرفة الركعة الرابعة
مّرت العَرَبَاتُ
نهضت فاطمه
من صلاة المكان
وطئتُ عربه
من حديدٍ يلزّ
أساورَ فاطمة الضائعة.

وطن، حبل وامرأة

ولدتُ على كَفَيْنِ راعشتين من خوفٍ، غموضٌ سادرٌ
في الغيِّ،
مئزرةٌ خطيئةٌ في جنبها ذَنْبٌ.

ولدتُ على كَفَيْنِ
بل كَفٌّ على كَفٌّ
والحبلُ ملتفٌ
وسنابكي سُرِقَتْ
والنائمون أنا
صحبي

تواريخ البلادِ المستريحةِ فوق غصنٍ سوف ينكسرُ..
إذا نهدتُ على أغصانها وبكت حمامه
وتوسّلت للطلح أن يمضي بها نحو انتحار القمح
في تلك الرحي..

وتوسّلت

كانت تمدّ جناحها للريح وقتئذٍ

أن تستحيل الشمس فوق جناحها طفلاً، فتحمله

وتدخل في الغمامه.

حلمٌ على بالي

صفٌّ على صفٍّ

واللافتات مدينةٌ للعاطلين عن امتهان دمٍ

صفّان ينتظمان في صفٍّ

الناس كالموتى

ما مرّهم حتفٌ

وأنا الذي دَنِفُ

للموت، للعشق البهيّ وسورة الإسراء من موتى

إلى موتى ومن فستانها الصيفيّ إذ أغفو فتصحو

نجمَةٌ

بدأت إلى الركض النجوميّ الطويلِ حكاية أخرى.

نهضت

قميصُ النومِ مشلوحٌ على طرف الصباح وساعدي

مبتلٌ.

وأنا انكسارُ سفينةٍ، في الرملِ، ملحٌ فوق

جرح طازجٍ، صمصافةٌ محروقةٌ للتوّ.

دخلتُ مدينةَ الدّهْشةِ..

وصادف أني نَقَطْتُ إيقاعَ القصيدةِ فوق إصبعِ

رجلها، مازجتُ في غيبوبة العشق البدائي الطويلِ

دمي بلثغتها التي ضيّعتها زمنًا طويلًا ثم أتبعني

الزمان، أنحْتُ راحلتي وصحّت:

يا أهل هذا الحيّ

مَنْ يُرشدُ الغادي؟

هل مرّكم حيٌّ

عن ناظري غادي؟

المضاربُ هاجعةٌ، والسواليفُ نامت

ولو تأتين أشعلنا فوانيس القرى ووقودها سعفٌ

ومجيثك البدويّ خارطةُ احتمالٍ ليس يجمع ما بها

غيرُ

البلاد المدلهمة

مالحي أطفالنا خبزًا وفوتي، نورّي فانوسنا، أنت
احتفالاً طفولةً، نهرٌ من الياقوت ما مسّته كفٌّ.

ولدٌ على شكٍّ، وغربته اتّسع الحلم، سلوته
قصيدته

ومنحدرٌ من البدو الذين تكسّرت في ظعنهم
بيداؤهم

إذ قوّضت تلك الرياح خيامهم فإذا بهم حتفٌ.

ولدٌ على سيفٍ صقيلٍ والمسافة بين سيفٍ آخرٍ
قامته.

قامته أرجوحه

وأميرةٌ تلتفّ كالثعبان حول يديه

الأرضُ شهوته وسطوته

والأرضُ مجروحه.

هبطتُ وقد مات النهارُ على الكتابة في دمي امرأةٌ

وفرت فوق عظمة حوضها روحُ القصيده..

فاكتشفت جزيرةً مأهولة بالأحرف الوحشية الأولى
وعشبًا نابتًا في رملي المائي ما مرّت به كفّان
فاغتسلت به..

لبّيك، ركبته حديثُ أصابعي..

قبّلت ركبته

فتحوّلت عند الصباح حبيبي امرأةً جديدةً

من فضّ ختم الربّ؟

من أشعل أغنيةً للبنّت كي ترقص؟

من مدّ للساقين ثوبًا غامقًا كالموت؟

سلكت منابت شعر ساقِي

هبطت على عري الجسد

وأنا أصبح بها: مددٌ

هذا احتفال الجوع بالعطش المقدّس

خادرٌ نصفٌ

ونصفٌ لا أحد.

ولدٌ على كفّين بل..

كفّ على كفّ

والحبل ملتفت

وأنا الذي دنف

والعاشقون

أنا

صحبي

تواريخ البلاد.

١٩٨٤

هواجس في طقس الوطن

قد جئت معتذراً ما في فمي خبرٌ
رجلاي أتعبها الترحالُ والسَّفَرُ
ملت يداي تباريح الأسي ووعت
عيناي قاتلها ما خانها بصرُ
إن جئتُ يا وطني هل فيك متسعُ
كي نستريح ويهمي فوقنا مطرُ
وهل لصدرك أن يحنو فيمنحني
وسادةً، حلمًا في قيظه شجرُ
يا نازلًا في دمي انهض وخذ بيدي
صحوي والتّم في عيني يا سهرُ
واجمع شتات فمي واغزل مواجعهُ
قصيدةً في يدٍ أسرى بها وترُ
وافضح طفولتي الملتقاة فوق يدٍ
تهترُ ما ناشها خوفٌ ولا كبرُ
وصبّ لي عطش الصحراء في بدني
وأسكبُ رمال الغضا جوعًا فأنجدُ



قهوةٌ مرّةٌ وصهيلٌ جياذٍ مسوقةٍ، والمحاميس في
ظاهر الخيمة العربية راکةٌ في الرمال وفي البال،
كيف المطاريشُ إن ذهبوا للروح مطيَّ السفر؟

وكيف هي الأرضُ قَبْلَ المطر؟

وكيف الليالي، أموحشةٌ في الشعيب إذا ما تيمّم
عودُ الغضا واحترى أن يمرّ به الوسمُ صبحيةً
والنشامى يعودون في الليلٍ مثقلةً بالرفاق البعيدين
أعينهم،

ثم كيف السرى إذ يطول بمُدْلِجِها؛ أرضه أنسه في
التوحدِ،

لا أحدٌ غير رمل الجزيرة، لا نجمةٌ يستدلّ بها في
السرى غير قلب المحبِّ، وهذا الحصى شره ما
طوته القوافلُ من زمنٍ ثم كيف النوى إذ يطول بنا.

قم بنا

أيها الوطن المتعالي بهامات أجدادنا

أيها المستبدّ بنا لهفةٌ وهوى

أيها المتحفّز في دمنا

والمتوزّع في كل ذراتنا.

أعطنا بصراً كي نراك، وأوردةً كي تمرّ بنا، فيه
نلقي مساءً جميلاً، قرنفةً في عرى ثوبك الأبيض
المتسربل ضوءاً لنمشي أيا أيها الوطن المتعالي إذا
ما ارتدانا الظلامُ إليك.

خذ يدينا إذا صُفنا.. وأقم يا إمامَ الرمال صلاة
التراويح فينا، مقدّسة أن تظللّ لنا شامخاً كالنخيل
الذي لا يموت..

واضحاً كالطفولة، كالشمس ثم اعطنا جذوةً حيّةً
في الفؤاد الخليّ لكي يصطفيك.



وطني واقفٌ

ويدي مُسرّعةٌ

ابنك البدويّ أتى يستزيد هواجس أيامه المُسرّعة

مرسلٌ من سنيّ الفراغات كيما أفتش عن لغة
ضائعه

بكيْتُ على باب مكة، فتشَّتْ أركانها الأربعة
في فمي معزفٌ كسرته الليالي وامّحت ترانيمه
الزوبعة.



إنني واقف خلف ظهرك مفتتحًا وجعي باعتذار
المحبين

حين يطول النوى

خاشعًا من محياك يا وطنًا نتعالى به، غيمنا إذ
يجفّ بنا الورد، سلوئنا في مساء التغرب، في

الصبح وردتنا ورغيف الفقير، وأنت البسيطُ

البسيطُ فقل للعصافير إن الفضاء مديحُ اتّساعِ

لعينيك كي لا تطير، فإنّ العصافير خائفة، فكن

وطني ممعنًا في الهدوء لكي تعتلي ذروتك.

وكنْ في المساء حنيًا عليها لكي تمنح السرّ لك.

لكي تمنح السرّ لك

سماؤُ لنا وسماواتُ لك

وأنت فضاء البياض إذا ما استفاض على القلب
شكّ.

وأنت الشهادةُ فيمن هلكُ

سماؤُ لنا..

وسماواتُ أولها أنت، آخرها أنت، وأنت

لنا الضوء إذ يستدير الحلك

وطنٌ..

تعبت رملةً في «النفود» فقلتُ لك القلبُ متكأً

والغمام فلّك

فاستديري به ثم حطّي على جبهتي

أنا واقفٌ لمحيئك

أعرفُ

بعد الغبار تغني السماءُ لنا أغنيهُ

تصبّ لنا الماء في عطش الكأسِ

وقتئذٍ

مَطَرٌ أشعلك

مطر

أشعلك .

١٩٨٥

أسطورة

الزمان: زمنٌ فات

المكان: قرينتا الملقاة على تلّ رمليّ

المناسبة: امرأة من قرينتا تدعى ليلي عشقت

الأشخاص: شيخُ القرية.. بعض رجال القرية

قالوا: هذا الحُسْنُ الطّافح في عيني ليلي.. من أين
أتاها؟

هذا الوشم الساقطُ دومًا في كفّ امرأة غجريه..

من سواه بكفيها؟

هذا الغضب المُشرعُ في وجه رجال القرية.

منّ نمّاه بعينيها؟

من علّم ليلي أن تَسْكُن في صدر رجل؟

أن تختلط بأنفاسه؟

أن تنسى خجل الأثني؟
 أن ترسم هذا العشق النازل من راييس^(١) حتى أبها
 من علمها؟
 ها نحن هنا نتواري خلف أصابعنا إن دُكر العشق
 أو ألقى أحد الصبية بسؤالٍ عن لون العشق
 ماذا يا شيخ القرية نفعل؟

قال الشيخ الواقفُ في وسط الحلبة
 لم لا نقطع أصل العشق فنجو!
 هذي شجرته المزروعة في درب القرية..
 قصّوها عن آخر جذر
 حتى لا تخرج ليلي أخرى كي تستوطن صدرَ
 رجل.

قال الراوي:

فرغ من تلك الشجرة قاوم أهل القرية فَمَا
 كانت ليلة تسري في حزن الليل لتروي الفرع بماء

(١) جبل في الشمال.. قرب مدينة تبوك.

العاشق الساكن في أحداق العين
 ونما.. ونما
 حتى أصبح شجره
 تمتد لتشمل كل الأرض بأفرعها الممتدة من تلك
 القرية.
 مَنْ يأكل منها يُصابُ بداء العشق
 مَنْ يتفياً ظلَّ الشجرة
 يهوى أول من يلقي من فتيات الأرض.

١٩٧٧